من كلام أمير المؤمنين في نهج البلاغة

التحذير من الفتن

ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا وَظُهُورِ كَمِينِهَا وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا وَمَدَارِ رَحَاهَا تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ وَتَئُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ يَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالْعُهُودِ (أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ) يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ وَعَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذَلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ وَالْقَاصِمَةِ الزَّحُوفِ فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا وَتَلْتَبِسُ الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا الرُّكْبَانُ تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ يَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ وَيُدَبِّرُهَا الْأَرْجَاسُ مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ تُقْطَعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ بَرِيئُهَا سَقِيمٌ وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ.

ومنها : بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ يَخْتِلُونَ بِعَقْدِ الْأَيْمَانِ وَبِغُرُورِ الْإِيمَانِ فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ وَأَعْلَامَ الْبِدَعِ وَالْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ وَاقْدَمُوا عَلَى اللَّهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الْحَرَامِ فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ وَسَهَّلَ لَكُمْ سُبُلَ الطَّاعَةِ.

الشرح

(ثم إنكم معاشر العرب): منصوب على الاختصاص. (أغراض بلايا): الغرض: ما يرمى من قرطاس وغيره، والبلايا جمع بلية كرسالة ورسائل. (قد اقتربت): دنا حصولها وهجومها

عليهم. (فاتقوا سكرات النعمة): عن أن تخرجكم إلى الأشر والبطر، فَتُزَالَ عنكم.
(واحذروا بوائق النقمة): البوائق: الدواهي، والنقمة هي: الاسم من الانتقام.
(وتبينوا): خذوا البيان.
(في قتام العشوة): القتام هو: الغبرة، والعشوة هو: ركوب الأمر على غير بيان ووضوح.
(واعوجاج الفتنة): لأنها تأتي على غير الاستواء فهي معوجّة. (عند طلوع جبينها): حدوث أوائلها. (وظهور كمينها): ما كان منها كامنًا أي مستورًا لايؤبه له، ولا يعلم حاله فيحذر منه. (وانتصاب قطبها): استواء أمرها. (ومدار رحاها): انتظام أحوالها كلها. (تبدأ في مدارج خفية): المدارج هي: المذاهب، وأراد أن أوائلها تكون في أمور خفية دقيقة مسالكها، وقوله: تبدأ من بدأ في الأمر يبدأ على فَعَلَ يَفْعَلُ بالفتح للعين فيهما إذا شرع فيه، وإنما كان كذلك لأن لامه حرف حلق. (وتؤول إلى فظاعة جلية): وترجع عاقبتها إلى أمر شديد واضح، من قولهم: فظع الأمر إذا اشتدَّ الخطب فيه وعظم، قال لبيد :

وهم السّقاة إذا العشيرة أَفْظَعَتْ ... وهمُ فوارسُها وهم حكَّامُها

(شَبَابُها كَشَباب الغلام): لزيادتها فهي إلى نمو واستعلاء؛ لأن الغلام عند مراهقته للبلوغ يظهر فيه الشباب ظهورًا واضحًا.
(وآثارها): في أهلها وزمانها، يعني الفتنة.
(كأكلام السِّلام): جمع سلمة، وهي: الحجارة من شدة كلمها لهم وتأثيرها فيهم، واحدها سَلِمة بكسر اللام، قال:

يرمي ورائي بِامْسَهمِ وَ امْسَلِمه

(يتوارثها الظلمة): الضمير للدولة، والمعنى اتخذوها وراثة بمنزلة المال الموروث إذا مات واحد خلف عليها آخر.

(بالعهود): أي يعهد هذا إلى غيره عند موته، ويعطيها إياه كأنها تراث أبيه، أو كأن الحكم إليه فيها.
(أولهم قائد لآخرهم): إمام لهم يتّبعونه.
(وآخرهم مقتدٍ بأولهم): تابع له يسلك على أثره ويأتمُّ به.
(يتنافسون): أي يرغبون، ومنه قوله تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ }[المطففين:٢٦].
(في دنيا دنية): حقيرة نازل قدرها.
(ويتكالبون على جيفة مريحة): التكالب: شدة المنازعة، وعظم الشجار، والجيفة: شبح الإنسان عند الموت، والمريحة: ذات الرائحة الخبيثة.
سؤال؛ ما وجه تشبيه الدنيا بالجيفة والرائحة الخبيثة، وكيف استعير لها ذلك؟
وجوابه؛ هو أنه لما وصف أهلها بالتكالب عليها، والتهالك في حبها، والحرص عليها وجعلهم بمنزلة الكلاب فيها، ألحق ذلك بما يناسبه، وهي الجيفة المنتنة التي تجتمع الكلاب عليها وتتهارش عند أكلها، وهذا من علم البيان يلقَّب بتوشيح الاستعارة، وله موقع عظيم في البلاغة، وهو مما يزيد الكلام حسنًا ورشاقة.
(وعن قليل يتبرأ التابع من المتبوع): وبعد انقطاع الدنيا على القرب والسرعة، و يصيرون إلى الآخرة تنقطع العُلْقة ، ويتبرأ هذا من هذا كما قال تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ}[البقرة:١٦٦].
(والقائد من المقود): والداعي من المدعو، حتى صار كل واحد منهم منقطعًا عن الآخر غاية الانقطاع.
(فيتزايلون بالبغضاء): زيَّلته فتزيل إذا فرَّقته، والمزايلة: المباينة، أي يتزايلون بغضًا وعداوة فيما بينهم.

(ويتلاعنون عند اللقاء): هذا يلعن هذا وهذا يلعن ذاك، وإنما قال: عند اللقاء؛ مبالغة في سوء حالهم حيث أقاموا اللعن والأذية فيما بينهم مقام المسرة، والتحية عند المواجهة.
(ثم يأتي بعد ذلك): إشارة إلى حالتهم هذه المكروهة.
(طالع الفتنة): أولها ومبدأها.
(الرجوف): التي ترجف القلوب لها، أي تضطرب، ويشتد قلقها خوفًا منها.
(والقاصمة):، من قولهم: قصم ظهره إذا كسره.
(الزحوف): الزحف هو: المشي إلى قدام بسرعة ونشاط.
(فتزيغ قلوب): تميل عن الدين وتزول عنه.
(بعد استقامة): ثبوت كان منهم قبل حصولها.
(وتضل رجال): عن سواء السبيل.
(بعد سلامة): عن الزيغ والضلال.
(وتختلف الأهواء): الخواطر والقلوب فزعًا منها.
(عند هجومها): عند وقوعها، والضمير للفتنة.
(وتلتبس الآراء): يختلط بعضها ببعض فشلًا وروعة.
(عند نجُومها): نجم القرن إذا طلع.
(من أشرف لها قصمته): خاض في أمرها قطعته.
(ومن سعى إليها): بالدخول فيها.
(حطمته): والحطم: الكسر، وسميت النار حطمة؛ لكسرها للظهور والعظام.
(يتكادمون فيها): الكدم: هوالعض بمقدم الأسنان.
(تكادم الحمير): هذا يكدم هذا، وهذا يكدم ذاك.
(في العانة): القطيع من حمرالوحش بمنزلة الثلة من الناس.
(قد اضطرب معقود الحبل): تلاشى ما أبرم من الأمور المحكمة، والحبل المعقود من أجلها.

(وعَمِيَ وجه الأمر): فلا يهتدى للصواب في أمرها، ولايدرى من أين تؤتى.
(تغيض فيها الحكمة): غاض الماء إذا ذهب، وأراد إما تذهب فيها الآراء المحكمة، وإما تطيش فيها أحلام أهل الحكمة فزعًا منها.
(وتنطق فيها الظلمة): أي ويكون من يتكلم فيها هم الظلمة، وهذا مما يؤيد الاحتمال الثاني في الحكمة.
(وتدقُّ أهل البدو): الشطار وأهل السلاح والشجاعة، فإذا كان [هذا] حالها في هؤلاء فكيف في غيرهم من أهل الأمصار وغيرهم، ولهذا خص البدو.
(بمسحلها): المسحل هو: المبرد، ويقال أيضًا : للخطيب المصقع، ويقال أيضًا : للحمار الوحشي، ومراده ها هنا المبرد، وتدقهم أي تجعلهم دقاقًا كدقاقة الخشب، والحديد إذا برد بالمبرد .
(وترضهم): الرضُّ: الدقُّ، يقال: رضَّ النوى إذا دقَّه.
(بكلكلها):كلكل الجمل: صدره.
(يضيع في غبارها الوُحدان): أراد أنها لشدتها وعظمها، وفخامة شأنها تبطل في أثنائها أعلام الرجال، الوحدان: الذين كل واحد منهم واحد زمانه وإنسان أوانه.
(ويهلك في طريقها الركبان): فإذا كان حال الركبان فيها الهلاك؛ فكيف حال من يمشي على قدمه، هوأسرع لامحالة إلى العطب والهلاك.!
(ترد): تطلع على أهلها.
(بمرِّالقضاء): بما قد سبق في علم الله تعالى مما تكرهه النفوس، وتمرها من القتل والأخذ والسلب.

(وتحلب عبيط الدماء): دم عبيط إذا كان خالصًا لا يشوبه شيء من الكدورة؛ لما يكثرفيها من القتل، وإراقة الدماء على غير وجهها.
(وتَثْلِم منارالدين): المنار: علم الطريق، وأراد أنها تهدم أعلامه لما يحصل بسببها من الزيغ عنه وإهماله.
(وتنقض عقد اليقين): ما أبرم من العقود اليقينية.
(يهرب منها الأكياس): أهل الكياسة من المؤمنين الجامعين لخصال الفضل.
(ويديرها الأرجاس): ويتولى أمرها، ويدبِّر حالها الفسقة من الخلق.
(مرٍ عادٌ مبراق): مبالغة فيما يحصل فيها من شدة الأمر، أخذًا لذلك من شدة الرعد والبرق والصواعق.
(كاشفة عن ساق): هذه الكلمة لا تستعمل إلا في الداهية العظيمة، والأمور المكروهة، كما قال تعالى في وصف القيامة: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ}[القلم:٤٢] كناية عن عظم الأمر وتفاقمه.
(تقطع فيها الأرحام): الأقارب بالهجران، وترك المواصلة لهم.
(ويفارق عليها الإسلام): أي من كان مجتهدًا فيها فقد برئ عن الإسلام، وخلى عنه.
(بريئها سقيم): مهزول عن الدين لادين له.
(وظاعنها): الخارج عنها.
(مقيم): واقف عليها، وأراد أن الهارب عنها فهو مقيم فيها لا ينفعه هربه عنها؛ لا نتشارها وسعتها ، أو أن الهارب منها بجسمه وهو مريد لها بقلبه كا لمقيم لا ينفعه الهرب من الخطأ والخطر.

(بين قتيل مطلول): طل الدم فهو مطلول، إذا ذهب هدرًا لا ثائر له.
(وخائف مستجير): بغيره لا يأمن وحده فيها.
(يختلون بعقد الأيمان): من الختل وهو: الخدع، يقال: ختله إذا خدعه؛ لما يظهرونه من التغليظ ، والتعقيد في الأيمان الكاذبة جمع يمين.
(وبغرور الإيمان): وبما يأخذون الناس من الغرر بإظهار النسك، والتقشف والعبادة والزهد، وغير ذلك مما يكون من أمارة الدين.
(فلا تكونوا): نهي وتحذير.
(أنصارالفتن): ناصرين لها ولأهلها.
(وأعلام البدع): بمنزلة الأعلام لكل خصلة مبتدعة في الدين تضاد السنة وتخالفها.
(والزموا): أمر وحث.
(ما عُقد عليه حبل الجماعة): فإن يد الله مع الجماعة، وكما قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا }[آل عمران:١٠٣] وأراد التمسك بالدين وأسبابه.
(وبنيت عليه أركان الطاعة): لله ولرسوله؛ فإنها إنما تؤسس على التقوى، والتزام العرى الوثيقة.
(واقدموا على الله): من قولهم: قدم علينا من سفره، وأراد القدوم على القيامة.
(مظلومين): مأخوذة أموالكم مستحلة أعراضكم، فإن الله تعالى يكون هو المنتصف لكم، وكفى به ناصرًا لكم ومنتصفًا !.
(ولا تقدموا عليه ظالمين): لأحد من الخلق في عِرْضٍ ولا مال، فيكون الله تعالى هو المنتصف منكم، والآخذ لكم بإجرامكم.

(واتقوا مدارج الشيطان): مذاهبه التي يذهب فيها في الخدع للخلق والمكر بهم.
(ومهابط العدوان): إما المعاداة للخلق، وإما التعدي عليهم، فكله هلاك للدين، وإبطال له.
(ولا تدخلوا بطونكم لُعَق الحرام): اللعقة: ما يلعق أي مأكولاته ومطعوماته، وفي الحديث: ((كل مغصوب حرام)).
(فإنكم بعين من حرَّم عليكم المعصية) : لاتخفون عليه، وهذه اللفظة من كلماته البديعة القصيرة، التي أنافت على الغاية في وصف الإحاطة، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيط }[آل عمران:١٢٠]، وقوله: {وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ }[يس:١٢]، وكما قال النابغة الذبياني:
وإنَّك كا لليلِ الذي هو مُدْرِكِي **وإن خلت أن الْمُنْتَأعنك واسعُ
ولقد أجاد فيما قال، ولكنه قاصر عن كلام أمير المؤمنين في المبالغة والرقة، فأما كلام الله تعالى فقد فاق على الكلامين جميعًا لذة وحلاوة، وبهجة وطلاوة.

ومن خطبة له (عليه السلام)
يومي فيها إلى الملاحم ويصف فئة من أهل الضلال :

(وَ أَخَذُوا يَمِينًا وَشِمَالًا ظَعْنًا فِي مَسَالِكِ الْغَيِّ وَتَرْكًا لِمَذَاهِبِ الرُّشْدِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِي ءُ بِهِ الْغَدُ فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ وَمَا أَقْرَبَ الْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ يَا قَوْمِ هَذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ وَدُنُوِّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ أَلَا وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ الصَّالِحِينَ لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقًا وَيُعْتِقَ فِيهَا رِقًّا وَيَصْدَعَ شَعْبًا وَيَشْعَبَ صَدْعًا فِي سُتْرَةٍ عَنِ النَّاسِ لَا يُبْصِرُ الْقَائِفُ أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ الْقَيْنِ النَّصْلَ تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ)

الشرح

(وأخذوا يمينًا وشمالًا): أراد أهل الفتن التي تأتي بعده، يشير إلى فتنة بني أمية وغيرها من الفتن.

(ظعنًا في مسالك الغي): إسراعًا إليها، وأراد طرق المهلك.

(وتركًا لمذاهب الرشد): إعراضًا عنها.

(فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد): واقع منها معدٌّ لكم مهيَّأ.

(ولا تستبطئوا ما يجيء به الغد): مما هو كائن في الأزمنة المستقبلة، وجعَل غدًا عبارة عنها.

(فكم من مستعجل ما إن أدركه ودَّ أنه لم يدركه): أراد أن كثيرًا ممن يستعجل شيئًا في إدراكه، ثم إذا حصل له تمنى أنه لم يكن حصل؛ لما يلاقي فيه من الألم والغم، وعظم المحنة، وسوء العاقبة.

(وما أقرب اليوم من تباشير غدٍ!): والتباشير هي : البشرى، وتباشير الصبح: أوائله، وهكذا في كل شيء.

(ياقوم، هذا إبَّان): أي وقت، وإبَّان الفاكهة: وقت إيناعها.

(ورود كل موعود): من حصول هذه الفتن ووقوعها.

(ودنو من طلعة ما لاتعرفون): واقتراب من طلوع ما لا تعرفون من أحوالها.

(ألا وإن من أدركها منَّا): الضمير راجع إلى قوله: طلعة ما لا تعرفون، وقوله: (منَّا) أراد أهل البيت.

(يسري فيها بسراج منير): بصيرة في الأمور نافذة.

(ويحذو فيها على مثال الصالحين): يقفو أثرهم ويقتدي بآرائهم الصائبة.

(ليُحِلَّ فيها ربقًا): قد أحكمت للضلالة، وهي: جمع رِبْقَة، وهو: حبل فيه عدة عرى تشدُّ فيها أولاد الغنم.

(لا ينظر القائف أثره): القائف هو: الذي يشبِّه الولد بأبيه فيلحقه به، والقائف هو: الذي يعرف زجر الطير ، وأراد أن مكرهم وخدعهم دقيق لا يدرك لدقته بالكهانة والقيافة.

(ولو تابع نظره): ولو بالغ في نظره، وتابعه مرة بعد مرة لدقته وغموضه.

(وليُشحذنَّ فيها قوم): شحذ النصل: تحديده، أي ليضربنَّ بالبلاوي ويحك سرائرهم في هذه الفتن، والمراد بما ذكره ظهورقوم من عباد الله الصالحين.

(شحذ القين النصل): القين: الحداد، مبالغة في شدة ما يلقونه.

(تجلي بالتنزيل أبصارهم): يتلونه حق تلاوته، ويجلِّون بذكره بصائرهم، ويُصَقُّوْنَ به عقولهم عن أن ترين عليها الغفلة، أو يغلب عليها السهو.

(ويُرمى بالتفسير في مسامعهم): يسمعون كلام الله تعالى فيقع مراده في آذانهم فلا يخالفونه.

(ويغبقون كأس الحكمة بعد الصبوح): أي يشربونها غدوًا وعشيًا ، والغبوق: شرب العشي، والصبوح: شرب البكرة، وأراد أن الحكمة صارت غذاء لهم تطيب عليه أنفسهم وتنمو عليه أجسامهم.

(وطال الأمد عليهم): يعني أهل هذه الفتن المضلة.

(ليستكملوا الخزي): من الله تعالى بما فعلوه، وارتكبوه من هذه الآثام الموبقة.

(ويستوجبوا الغير): التغيير في أحوالهم، وإزالة ما هم فيه من النعم بحلول النقم عليه، وإدالتها بنقائضها من البلاوي.

(حتى إذا اخلولق الأجل): اخلولق السحاب إذا صار خليقًا بحصول المطر منه، وأراد قرب الأجل وإسراعه، وحتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره: فاستمروا على ذلك واطمأنوا إليه حتى جاء الأجل.

(واستراح قوم إلى الفتن): اطمأنوا إليها، وصارت أفئدتهم متعلقة بها ولا راحة لهم في غيرها. (واشتالوا عن لقاح حربهم): اشتالت الناقة ذنبها إذا رفعته، ليعلم بذلك لقاحها، وأراد أنه لما طالت الآماد في الفتن استأنس الناس بها، وهيجوا أسباب الحرب حتى لقحت واشتالت.

(لم يمنوا على الله بصبرهم): أراد هؤلاء الصالحين الذين قدّم ذكرهم.

(ولم يستعظموا بذل أنفسهم في حق): لما يعلمون من ثواب الله، وجزيل عطائه.

(حتى إذا وافق وارد القضاء): اتفق ما يرد من أقضية الله تعالى ومقاديره.

(انقطاع مدة البلاء): زوال ماهم فيه من البلاء بهذه الفتن، وحتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره فصبَّروا نفوسهم على ذلك حتى إذا وافق.

(حملوا بصائرهم على أسيافهم): وقاتلوا بالسيوف أمام البصائر.

(ودانوا لربهم): عاملوه بهذه المعاملة بالجهاد في ذاته، والقيام بأمره في ذلك، من قولهم: كما تدين تدان.

(بأمر واعظهم): [إمامهم، وصاحب أمرهم، وولايتهم].

(حتى إذا قبض رسول الله رجع قوم على الأعقاب): حتى هذه متعلقة بأمر محذوف، كما مر في نظائرها تقديره: فأقاموا على ذلك حتى إذا قبض رسول الله [رجع قوم على الأعقاب] ارتدوا وكفروا.

(وغالتهم السبل): ختلتهم الطرق السيئة وخدعتهم.

(واتكلوا على الولائج): الدخائل السيئة، أراد أنهم اعتمدوا عليها فكانت سببًا للهلاك.

(ووصلوا غير الرحم): رحم الرسول عليه السلام.

(وهجروا النسب الذي أمروا بمودته): حيث قال: {قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى }[الشورى:٢٣].

(ونقلوا البناء عن رصِّ أساسه): إحكام بنائه، والرصُّ: إحكام البناء فلا يزيد بعضه على بعض، كما قال تعالى: {كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ }[الصف:٤].

نعيم بن حماد

٩٦٦ - حدثنا المعتمر بن سليمان عن رجل عن عمار بن محمد عن عمر بن علي أن عليا قال: (**تكون فتن ثم تكون جماعة على رأس رجل من أهل بيتي ليس له عند الله خلاق فيقتل أو يموت فيقوم المهدي**).

٢.حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن بعض أصحابه (قال لا يخرج المهدي حتى لا يبقى قَيْلٌ ولا ابن قيلٍ إلا هلك) والقيل الرأس.

من سنن ابي داود ومسندي (الصحابة والشاميين) وغيرهم

عَنْ عُمَيْرِ بْنِ هَانِئٍ الْعَنْسِيِّ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قُعُودًا فَذَكَرَ الْفِتَنَ فَأَكْثَرَ ذِكْرَهَا حَتَّى ذَكَرَ فِتْنَةَ الْأَحْلَاسِ فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا فِتْنَةُ الْأَحْلَاسِ قَالَ هِيَ فِتْنَةُ هَرَبٍ وَحَرَبٍ ثُمَّ فِتْنَةُ السَّرَّاءِ دَخَلُهَا أَوْ دَخَنُهَا مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنِّي وَلَيْسَ مِنِّي إِنَّمَا وَلِيِّيَ الْمُتَّقُونَ ثُمَّ يَصْطَلِحُ النَّاسُ عَلَى رَجُلٍ كَوَرِكٍ عَلَى ضِلَعٍ ثُمَّ فِتْنَةُ الدُّهَيْمَاءِ لَا تَدَعُ أَحَدًا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَةً فَإِذَا قِيلَ انْقَطَعَتْ تَمَادَتْ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا حَتَّى يَصِيرَ النَّاسُ إِلَى فُسْطَاطَيْنِ فُسْطَاطُ إِيمَانٍ لَا نِفَاقَ فِيهِ وَفُسْطَاطُ نِفَاقٍ لَا إِيمَانَ فِيهِ إِذَا كَانَ ذَاكُمْ فَانْتَظِرُوا الدَّجَّالَ مِنْ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ)

شرح الحديث

: (الْعَنْسِيّ) : بِمَفْتُوحَةٍ وَسُكُون نُون ، قَالَ فِي لُبّ اللُّبَاب مَنْسُوب إِلَى عَنْس حَيّ مِنْ مَذْحِج (كُنَّا قُعُودًا) : أَيْ قَاعِدِينَ(فَذَكَرَ) : النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (الْفِتَن) : أَيْ الْوَاقِعَة فِي آخِر الزَّمَان(فَأَكْثَرَ): أَيْ الْبَيَان (فِي ذِكْرهَا): أَيْ الْفِتَن (حَتَّى ذَكَرَ): النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (فِتْنَة الْأَحْلَاس) والْأَحْلَاس جَمْع حِلْس وَهُوَ الْكِسَاء الَّذِي يَلِي ظَهْر الْبَعِير تَحْت الْقَتَب ، شَبَّهَهَا بِهِ لِلُزُومِهَا وَدَوَامهَا وأُضِيفَتْ الْفِتْنَة إِلَى الْأَحْلَاس لِدَوَامِهَا وَطُول لُبْثهَا أَوْ لِسَوَادِ لَوْنهَا وَظُلْمَتهَا (قَالَ) : النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ (هِيَ) أَيْ فِتْنَة الْأَحْلَاس (هَرَب) : بِفَتْحَتَيْنِ ، أَيْ يَفِرّ بَعْضهمْ

مِنْ بَعْض لِمَا بَيْنهمْ مِنْ الْعَدَاوَة وَالْمُحَارَبَة قَالَهُ الْقَارِي (وَحَرَب) : بِالتَّحْرِيكِ نَهْب مَال الْإِنْسَان وَتَرْكه لَا شَيْء لَهُ وَالْحَرَب ذَهَاب الْمَال وَالْأَهْل.

(ثُمَّ فِتْنَة السَّرَّاء): الْمُرَاد بِالسَّرَّاءِ النَّعْمَاء الَّتِي تَسُرّ النَّاس مِنْ الصِّحَّة وَالرَّخَاء وَالْعَافِيَة مِنْ الْبَلَاء وَالْوَبَاء، وأُضِيفَتْ إِلَى السَّرَّاء لِأَنَّ السَّبَب فِي وُقُوعها اِرْتِكَاب الْمَعَاصِي بِسَبَبِ كَثْرَة التَّنَعُّم أَوْ لِأَنَّهَا تَسُرّ الْعَدُوّ اِنْتَهَى.

(دَخَنهَا): يَعْنِي ظُهُورهَا وَإِثَارَتهَا شَبَّهَهَا بِالدُّخَانِ الْمُرْتَفِع، وَالدَّخَن بِالتَّحْرِيكِ مَصْدَر دَخِنَتْ النَّار تَدْخَن إِذَا أُلْقِيَ عَلَيْهَا حَطَب رَطْب فَكَثُرَ دُخَانهَا، وَقِيلَ أَصْل الدَّخَن أَنْ يَكُون فِي لَوْن الدَّابَّة كُدُورَة إِلَى سَوَاد وَإِنَّمَا قَالَ (مِنْ تَحْت قَدَمَيْ رَجُل مِنْ أَهْل بَيْتِي): تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَسْعَى فِي إِثَارَتهَا أَوْ إِلَى أَنَّهُ يَمْلِك أَمْرهَا.

(يَزْعُم أَنَّهُ مِنِّي): أَيْ فِي الْفِعْل وَإِنْ كَانَ مِنِّي فِي النَّسَب وَالْحَاصِل أَنَّ تِلْكَ الْفِتْنَة بِسَبَبِهِ وَأَنَّهُ بَاعِث عَلَى إِقَامَتهَا (وَلَيْسَ مِنِّي) أَيْ مِنْ أَخِلَّائِي أَوْ مِنْ أَهْلِي فِي الْفِعْل لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ أَهْلِي لَمْ يُهَيِّج الْفِتْنَة وَنَظِيره قَوْله تَعَالَى : { إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِح } أَوْ لَيْسَ مِنْ أَوْلِيَائِي فِي الْحَقِيقَة ، وَيُؤَيِّدهُ قَوْله (وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ) فِيهِ إِعْجَاز وَعَلَم لِلنُّبُوَّةِ وَفِيهِ أَنَّ الِاعْتِبَار كُلّ الِاعْتِبَار لِلْمُتَّقِي وَإِنْ بَعُدَ عَنْ الرَّسُول فِي النَّسَب ، وَأَنْ لَا اِعْتِبَار لِلْفَاسِقِ وَالْفَتَّان عِنْد رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ قَرُبَ مِنْهُ فِي النَّسَب.

(ثُمَّ يَصْطَلِح النَّاسُ عَلَى رَجُل): أَيْ يَجْتَمِعُونَ عَلَى بَيْعَة رَجُل (كَوَرِكٍ) : بِفَتْحٍ وَكَسْر قَالَهُ الْقَارِي (عَلَى ضِلَع) : بِكَسْرٍ فَفَتْح وَيُسَكَّن وَاحِد الضُّلُوع أَوْ الْأَضْلَاع وهُوَ مَثَل وَمَعْنَاهُ: الْأَمْر الَّذِي لَا يَثْبُت وَلَا يَسْتَقِيم وَذَلِكَ أَنَّ الضِّلَع لَا يَ قُوم بِالْوَرِكِ . وَبِالْجُمْلَةِ يُرِيد أَنَّ هَذَا الرَّجُل غَيْر خَلِيق لِلْمُلْكِ وَلَا مُسْتَقِلّ بِهِ (**وهو الفار هادي**) والله اعلم أَيْ يَصْطَلِحُونَ عَلَى أَمْر وَاهٍ لَا نِظَام لَهُ وَلَا اِسْتِقَامَة لِأَنَّ الْوَرِك لَا

يَسْتَقِيم عَلَى الضِّلَع وَلَا يَتَرَكَّب عَلَيْهِ لِاخْتِلَافِ مَا بَيْنهمَا وَبُعْده ، وَالْوَرِك مَا فَوْق الْفَخِذ و هَذَا مَثَل وَالْمُرَاد أَنَّهُ لَا يَكُون عَلَى ثَبَات ، لِأَنَّ الْوَرِك لِثِقَلِهِ لَا يَثْبُت عَلَى الضلع لِدِقَّتِهِ ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ يَكُون غَيْر أَهْل لِلْوِلَايَةِ لِقِلَّةِ عِلْمه وَخِفَّة رَأْيه و يُقَال فِي التَّمْثِيل لِلْمُوَافَقَةِ وَالْمُلَائَمَة كَفّ فِي سَاعِد وَلِلْمُخَالَفَةِ وَالْمُغَايَرَة وَرِك عَلَى ضِلَع.

ويقال أيضا: مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَمْر لَا يَثْبُت وَلَا يَسْتَقِيم لَهُ ، وَذَلِكَ أَنَّ الضِّلَع لَا يَقُوم بِالْوَرِكِ وَلَا يَحْمِلهُ ، وَحَاصِله أَنَّهُ لَا يَسْتَعِدّ وَلَا يَسْتَبِدّ لِذَلِكَ ، فَلَا يَقَع عَنْهُ الْأَمْر مَوْقِعه كَمَا أَنَّ الْوَرِك عَلَى ضِلَع يَقَع غَيْر مَوْقِعه (ثُمَّ فِتْنَة الدُّهَيْمَاء): وَهِيَ بِضَمِّ فَفَتْح وَالدَّهْمَاء السَّوْدَاء وَالتَّصْغِير لِلذَّمِّ أَيْ الْفِتْنَة الْعَظْمَاء وَالطَّامَّة الْعَمْيَاء .

وَالدَّهْمَاء الْفِتْنَة الْمُظْلِمَة وَالتَّصْغِير فِيهَا لِلتَّعْظِيمِ وَقِيلَ أَرَادَ بِالدُّهَيْمَاءِ الدَّاهِيَة وَمِنْ أَسْمَائِهَا الدُّهَيْم زَعَمُوا أَنَّ الدُّهَيْم اِسْم نَاقَة كَانَ غَزَا عَلَيْهَا سَبْعَة إِخْوَة فَقُتِلُوا عَنْ آخِرهمْ وَحُمِلُوا عَلَيْهَا حَتَّى رَجَعَتْ بِهِمْ فَصَارَتْ مَثَلًا فِي كُلّ دَاهِيَة.

(لَا تَدَع): أَيْ لَا تَتْرُك تِلْكَ الْفِتْنَة (إِلَّا لَطَمَتْهُ لَطْمَة): أَيْ أَصَابَتْهُ بِمِحْنَةٍ وَمَسَّتْهُ بِبَلِيَّةٍ ، وَأَصْل اللَّطْم هُوَ الضَّرْب عَلَى الْوَجْه بِبَطْنِ الْكَفّ ، وَالْمُرَاد أَنَّ أَثَر تِلْكَ الْفِتْنَة يَعُمّ النَّاس وَيَصِل لِكُلِّ أَحَد مِنْ ضَرَرهَا (فَإِذَا قِيلَ اِنْقَضَتْ): أَيْ فَمَهْمَا تَوَهَّمُوا أَنَّ تِلْكَ الْفِتْنَة اِنْتَهَتْ (تَمَادَتْ) : بِتَخْفِيفِ الدَّال أَيْ بَلَغَتْ الْمَدَى أَيْ الْغَايَة مِنْ التَّمَادِي وَبِتَشْدِيدِ الدَّال مِنْ التَّمَادُد تَفَاعُل مِنْ الْمَدّ أَيْ اِسْتَطَالَتْ وَاسْتَمَرَّتْ وَاسْتَقَرَّتْ قَالَهُ الْقَارِي (مُؤْمِنًا): أَيْ لِتَحْرِيمِهِ دَم أَخِيهِ وَعِرْضه وَمَاله (وَيُمْسِي كَافِرًا) : أَيْ لِتَحْلِيلِهِ مَا ذُكِرَ وَيَسْتَمِرّ ذَلِكَ (إِلَى فُسْطَاطَيْنِ) : بِضَمِّ الْفَاء وَتُكْسَر أَيْ فِرْقَتَيْنِ ، وَقِيلَ مَدِينَتَيْنِ ، وَأَصْل الْفُسْطَاط الْخَيْمَة فَهُوَ مِنْ بَاب ذِكْر الْمَحَلّ وَإِرَادَة الْحَالّ قَالَهُ الْقَارِي (فُسْطَاط إِيمَان) : بِالْجَرِّ عَلَى أَنَّهُ بَدَل وَبِالرَّفْعِ عَلَى أَنَّهُ خَبَر مُبْتَدَإٍ مَحْذُوف أَيْ إِيمَان خَالِص.و (الْفُسْطَاط) بِالضَّمِّ وَالْكَسْر الْمَدِينَة الَّتِي فِيهَا يَجْتَمِع النَّاس ، وَكُلّ مَدِينَة فُسْطَاط ، وَإِضَافَة الْفُسْطَاط إِلَى الْإِيمَان إِمَّا بِجَعْلِ

الْمُؤْمِنِينَ نَفْس الْإِيمَان مُبَالَغَة وَإِمَّا بِجَعْلِ الْفُسْطَاط مُسْتَعَارًا لِلْكَنَفِ وَالْوِقَايَة عَلَى الْمُصَرِّحَة أَيْ هُمْ فِي كَنَف الْإِيمَان وَوِقَايَته .

(لَا نِفَاق فِيهِ): أَيْ لَا فِي أَصْله وَلَا فِي فَصْله مِنْ اِعْتِقَاده وَعَمَله (لَا إِيمَان فِيهِ) : أَيْ أَصْلًا أَوْ كَمَالًا لِمَا فِيهِ مِنْ أَعْمَال الْمُنَافِقِينَ مِنْ الْكَذِب وَالْخِيَانَة وَنَقْض الْعَهْد وَأَمْثَال ذَلِكَ (فَانْتَظِرُوا الدَّجَّال) : أَيْ ظُهُوره .